إهداء

إلى روح أبي وصبر أمي وكفاح أخي
وحنان شقيقتاي واحتواء حبيبتي
والمخلصين «فقط» من أصدقائي.

وإلى أستاذي وصديقي .....
الدكتور جمال زهران.

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة

امتلئ المسرح السياسي في مصر بالكواليس والكوابيس والأسرار والمفاجآت حملني القدر أن أكون شاهدا علي بعض منها ،فأدهشتني بعض تفاصيلها وآلمني البعض الآخر ، ووقفت متسمرا أمام بعض التفاصيل ولكني سألت نفسي «من أنا حتى أكون شاهد عيان ،هذا السؤال طرحته علي نفسي قبل أن يطرحه أو يجمعه القارئ ،فعلا من أنا حتي أكون شاهد عيان علي مصر ؟ حتى ولو كانت الفترة الزمنية التي أشهد عليها ٥ أو ١٠ سنوات ،أعدت طرح السؤال عشرات المرات دون أن أصل إلى إجابة قاطعة فبداخلي صوتان صوت يقول من أنت وآخر يقول نعم أنت ،الصوت الثاني أطربني بقوة نعم أنت فيه نوع من الإحساس المتضخم بالذات ، نعم أنت يمكنك أن تكون شاهد عيان علي أشياء كثيرة أقلها «لاحظ أن هذا صوت الأنا المتورمة» أنك شاهد عيان علي أطهر وأشرف ورأوع وأشجع وانقي وأعظم ثورة في تاريخ مصر منذ ٧ آلاف سنة» وشاهد عيان علي ما جري في المطبخ السياسي الكبير للدولة بكواليسه وكوابيسه ،فلقد عشت ٥ سنوات في دهاليز البرلمان بغرفتيه الشعب والشوري ،وخلال السنوات الخمس شاهدت الكبار وتعاملت معهم ليس علي طريقة وحيد حامد في فيلم «اللعب مع الكبار» ولكن بطرق أخرى يمكنك أن تشرحها وتفصلها وتفصصها ،شاهدت كيف يتم سلق القوانين والدساتير وتحميرها بعد سلقها وتقديمها للجمهور في كتب وصحف مغلفة مثل أكياس الشيبسي ،شاهدت نواب المعارضة والإخوان والمستقلين ونواب الوطني ،رأيت قيادات

الدولة بصولجانهم ونفوذهم وغطرستهم وتعاملت معهم عن قرب منهم من أعدت اكتشافه بداخلك ومنهم من ظلت صورته الذهنية عندك كما هي ،شاهدت معارك سياسية ومشادات وخناقات وضرب و«سب دين» تحت القبة ،شاهدت كواليس لم ترها عينا غير عينك وسمعت أحاديثًا لم تلقطها أذنا غير أذنك ،أليس هذا دليلا علي أنك تصلح كشاهد عيان ،رأيت بأم عينك صراع الأجنحة والضرب تحت الحزام بين بعض رجال الحرس القديم والحرس الجديد،»شاهدت العصابة التي حكمت مصر فأفسدتها وقزمتها وحلبتها ومن بين أفرادها الكاهن زكريا عزمي «عين الرئيس » « الذي مارس الفساد بقلبه وبيده وحاربه بلسانه».

وفتحي سرور«أستاذ التوازنات» والذي داس علي القانون بحذائه« وكمال الشاذلي »المنكسر» والقواد «صفوت الشريف»الذي كان غير قابلا للانكسار بسبب«دهائه ولوعه» و«هشام طلعت مصطفي» الذي هوى فهوى « ومصطفى الفقي »الذي ينتظر أمام اسانسير النظام و«أمام أقدام النساء الفاتنات منهم والخادمات» ،وأحمد عز عازف الدرامز الذي عزف بمصر وعلى مصر كلها ووضعها في جيبه ، اقتربت من المعارضة ورجالها وشخوصها الشرفاء منهم والفهلوية والنصابين وكهنة كل العصور وعملاء المباحث من أمثال رجب حميدة وغيره من الأفاقين الذين سيكشف عنهم الكتاب ،رأيت رجال المال والأعمال ، رأيت الأشرار والأبرار رأيت الوزراء الفهلوي منهم والخيبان المتجبر منهم والطيب ، شاهدت حريق البرلمان وما زالت ذاكرتك تحتفظ بتفاصيل الحريق وبعض أسراره رأيت كومبارسات السياسة الذين يجيدون تمثيل ادوار معارضة وهم في« حقيقتهم خلايا نائمة في أحضان النظام و الحزب الوطني ويتحركون وفقا لإشارات أمن الدولة ،سمعت وعرفت أن للجنس والعشق والدم والرصاص نصيبا من وقت بعض نواب وقيادات البرلمان ، يمكنك أن تسجل مشاهداتك وانطباعاتك حتي حينما شاهدت مبارك لأول مرة في حياتك تحت القبة وعن اللحظات التي يلتقي فيها نواب الإخوان بالرئيس وجها لوجه ،يكمل صوت

الأنا المتورم بداخلي دفعني نحو الجزم بأنني أصلح كشاهد عيان ١٠٠٪ قائلا« أنت شاهد عيان علي أخطر برلمان في تاريخ مصر الحديث »ويمكنك ايضا أن تحكي قصتك مع وزير الخارجية حينما شتمك بسبب خبر كتبته فقدمت ضده بلاغا للنائب العام وقصة نجاحك في امتحانات السلك الدبلوماسي وسقوطك في الاختبار الشفوي بسبب مصطفي الفقي وتجربتك في الصحيفة المستقلة الكبري التي عملت بها وكواليسها وكوابيسها ومشاعرك وقت سقوط بغداد ودموعك وصرخاتك التي خرجت منك في ذلك الوقت وكيف خرجت في مظاهرة ميدان التحرير عام ٢٠٠٣ وكيف خنقتك القنابل المسيلة للدموع وكيف فكرت في السفر إلى بغداد لتحارب الأمريكان وكيف انتهي بك الأمر إلى أن عدت إلى صعلكتك المعتادة وتسكعك في شوارع وسط البلد بحثا وراء قصة غريبة أو فتاة جميلة بعد أن ضاعت بغداد جميلة الجميلات وعروس العروبة يكمل صوت الأنا المتوهجة» «أما مشاهداتك عن ثورة ٢٥ يناير التي شاركت فيها محفزا ومحرضا ومحررا وثائرا منذ الساعة الثانية عشر ظهر يوم الثلاثاء ٢٥ يناير إلى أن حققت الثورة أهدافها وأخرجت مصر أثقالها «أثقال الفساد والعفن السياسي »وتم خلع مبارك وحاشيته» فيمكنك أن تخصص لها كتابا آخر وبالفعل شرعت في كتابته بعنوان «حرامية الثورة» .

ويظهر بداخلي صوت آخر هو صوت الأنا الهادئة العاقلة المنكسرة أحيانا والطيبة أحيانا أكثر قائلا«أن أقصي ما كنت تحلم به أن تكون شاهد عيان علي ما جري في بلدتكم القديمة عزبة أبوزيد القابعة بمحافظة الشرقية ،شاهد علي ما جري لك وجري بك هناك في تلك العزبة الفقيرة التي لا يعرفها أحد سوي أهلها ».

وجاء صوت الحكمة من بعيد ليقول لي «كن وسطيا يرحمكم الله فلا تنكر علي نفسك مشاهداتك التي رايتها والتي ربما لم يرها غيرك أو شاهدها ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ،أضف علي مشاهداتك تحليلاتك لهذه المشاهدات،ولا تعتقد انك كاتب سيرة ذاتية فما زلت بعيدا عن هذا المرمي حتى وأن أعتقدت أنك بين الثلاث خشبات ».